

الشَّيخ إبراهيم فرج الله
حيأته وشعره

Sheikh Ibrahim Faraj Allah

His Biography and Poetry

م.د. وسام جمعة لفته المالكي

جامعة البصرة / كلية التربية / القرنة

Dr. Wissam J. Lafta Al-Maliky, Lecturer

College of Education, Qurna, University of Basra

ملخص البحث

يسلّطُ بحثنا الضوءَ على شخصيةٍ بصريةٍ لها تأثيرٌها وأثرٌها الواضحُ في مختلفِ ساحاتِ العلمِ، ومجالسِ المعرفةِ، والخطابةِ الحسينيةِ في النصفِ الثاني من القرنِ العشرين، فقد عُرفَ الشيخُ إبراهيمُ ابنُ الشيخِ مالكِ ابنِ الشيخِ لطيفِ فرجِ الله بوصفه أحدَ أعلامِ أسرةِ (آل فرجِ الله) أسرةِ العلمِ، والأدبِ، والفقاهةِ، والزَّعامةِ الدينيةِ في مناطقِ (جزائرِ البصرة)، وهي ما عُرفَ بعد ذلك بقضاءِ القُرنةِ، وتبعَ بعدها إدارياً بقضاءِ (المدينة) في الوقتِ الحاضرِ شمالِ محافظةِ البصرةِ، وقد نشأ الشيخُ فيها نشأةً علميةً بارزةً على أيدي شيوخِ أسرتهِ ورجالِها الذين عُرفوا كذلك بالعلمِ والأدبِ والخطابةِ، حتّى غدا شاعراً متندراً، وخطيباً مفوهاً في صنوفِ المعرفةِ، و أفانينِ الكلامِ، وقد أردنا التعريفَ به شاعراً في طيّاتِ هذا البحثِ في ضمنِ ثلاثةِ مباحثِ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

Abstract

This research paper sheds light on Sheikh Ibrahim bin Sheikh Malik bin Sheikh Latif Faraj Allah, the influential Basri personality that left its impact on various fields of science, knowledge, and Hussaini oration in the 2nd half of the 20th Century. Sheikh Faraj Allah has been one of the dignitaries of Aal Faraj Allah Family, known for their noticeable care for knowledge, literature, religious jurisprudence, and religious leadership. Their influence has been quite obvious in Jazaier (islands) of Basra, known later on as Qurna. Sheikh Faraj Allah grew up there as a prominent scholarly personality and then as a competent poet and a rhetorician. The present study seeks to highlight him as a poet in three sections.

المبحث الأول

موجز تاريخ آل فرج الله

ليس من اليسير التعريفُ بأسرة (آل فرج الله) تعريفاً وافياً شاملاً؛ لتعرض تاريخهم، وما دوّنه أجدادهم من سير، وأشعار، ومواقف، وأسرار، ومخطوطات، ومؤلفات إلى النهب، والسَّرقة والمصادرة إبان القمع البعثي؛ إذ أقدمت مؤسّسات السّلطة الصّدامية الغاشمة على اعتقال كثيرٍ من رجالات هذه الأسرة، فضلاً عن مصادرة مكتباتهم الشخصية^(١)؛ لذلك ستكون مصادر تاريخ هذه الأسرة مصادر نقلية - في غالبيتها - اعتماداً على ما تحتزنها ذاكرة المعاصرين لها، فضلاً عن بعض الكتب التي تعرّضت لتأريخ شمال البصرة، أو قضاء المدينة على وجه الخصوص.

ومنذ أربع مائة سنين وزيادة، تربعت هذه الأسرة على عرش الزعامة الدينيّة، والاجتماعيّة في منطقة البطائح (جزائر البصرة) في جنوب العراق، التي كان لها دورٌ بارزٌ ومؤثّرٌ في الحياة السّياسيّة، والاجتماعيّة منذ العصور القديمة، مروراً بالعصرين الإسلاميّ والحديث، فضلاً عن المعاصر^(٢)؛ إذ كانت مسرحاً للعديد من حركات التمرد ذات السّمة الثوريّة التي قاومت سلسلة الاحتلال التي تعرّض لها العراق عبر أزماته المختلفة.

وأما تسمية هذه المنطقة الجغرافية بالجزائر، أو ما تعرّف على ألسنة أبنائها بـ(الجزاير)؛ فلكونها منطقة أهوار ومستنقعات مائيّة كثيرة، ويذكر فتح الله الكعبي أنّ المنطقة «علمٌ لمواضع كثيرة، أو لها قرية بني منصور، وبني حميد ونهر عنتر، ونهر صالح، وديار بني أسد، وديار بني محمّد، والفتحيّة، والقلاع، ونهر السّبع، والباطنة، والمنصوريّة، والإسكندريّة، وينتهي شمالاً إلى كوت معم»^(٣).

ويبدو أنّ ديار بني أسد التي ذكرتها المصادر هم ذاتهم القبيلة العربيّة التي تنتمي إليهم أسرة آل فرج الله، وينقل الكاتب عبد الله السّامي العمانيّ في عام (١٣٧٩هـ) أنّه اشترى نسخة خطيّة من كتاب المبسوط للشيخ الطوسيّ، وقد وجد في آخر الكتاب أوراقاً بخطّ الشيخ فرج الله ابن الشيخ محمّد عليّ أحد أجداد الأسرة، وهي من مؤلّفات أخيه الشيخ شريف فرج الله، بعنوان (مختصر تاريخ إمارة ربيعة)، يتحدّث فيه عن قيام إمارة ربيعة في الجزائر بمنطقة التيمار من نهر عنتر، وذلك لنزول جدّ العائلة الأمير مخزوم في تلك المنطقة^(٤).

والذي يذكره المؤرّخون عن أحوال هذه المنطقة الجغرافيّة أنّها على الرّغم من نأيتها عن المدن، والحواضر العلميّة العربيّة، إلّا أنّها توفّرت على وجود مساجد، وحلقات علم، وفقهاء، ومجالس أدبيّة، ومدارس دينيّة^(٥)، وقد برزت عدّة أسماء علمائيّة تجاوز صيتهم بيئتهم المحليّة، كالسيّد نعمّة الله الجزائريّ، وولده السيّد عزيز، والشيخ محمّد بن عبد الحسين الجزائريّ، والشيخ عبد النبي الجزائريّ، الذي وصفه السيّد نعمّة الله الجزائريّ بـ (خاتمة المجتهدين)^(٦).

ومّا تجدر الإشارة إليه أنّ الشيخ عبد النبي، ووالده الشيخ صالح هما من أجداد أسرة آل فرج الله، مروراً برجالات الأسرة الآخرين، كالعلامة فرج الله

الكبير الملقب بـ (العلامة المقدّس).

وقد تعرّض رجال هذه الأسرة إلى استبداد الحاكمين بدءاً من حكومة أفراسياب التركيّ، وانتهاءً بعصر البعث الدّمويّ، الذي أعدم ما يقرب من (سبعة عشر رجلاً) أغلبهم من طلبة العلوم الدّينيّة، والخطباء، والأساتذة، وشرّد آخرين منهم في أصقاع مختلفة من العالم. وكان من أشهر رجالات الأسرة في الثلث الأوّل من القرن المنصرم، وقد عُرفوا من قبل من عاصروهم بجملة كراماتٍ وألطف إلهيّة، وهم: الشّيخ سعد، والشّيخ حسين، والشّيخ كاظم، وغيرهم، فالشّيخ سعد الذي خرج بالناس بعد أن فتك بهم الطاعون إلى العراق، والناس تؤمنّ على دعائه، ثمّ سجد طويلاً، وما إن رفع رأسه من السّجود حتّى كُشف البلاء عن المنطقة^(٧)، ويشهد بذلك النّاس الذين عاصروه.

ومن أشهر مشايخ الأسرة الذين عُرفوا بنظم الشّعور:

- الشّيخ محمّد الشّيخ جواد.

- الشّيخ عبد الرّحيم.

- الشّيخ محمّد جواد.

- الشّيخ إبراهيم الشّيخ مالك.

- الشّيخ حسن الشّيخ محمّد.

- الشّيخ عبد الخالق الشّيخ إبراهيم.

أمّا من أبنائهم المحدثين ممّن عُرفوا بالشّعور، فهم: الشّيخ ضياء ابن الشّيخ عبد الرزّاق المعروف في الأوساط الأدبيّة بـ (فرات الأسدّي)، والشّيخ محمّد تقّي نجل الشّيخ محمّد جواد، وأنور فرج الله، وحسن فرج الله.

المبحث الثاني

حياة الشاعر الشيخ إبراهيم فرج الله

إبراهيم بن مالك بن لطيف بن شريف بن عبد النبي بن صالح فرج الله، يمتد نسبه إلى الشيخ علي بن الحسين صاحب المقام المشهور في منطقة الصبأغية في قضاء الجبايش محافظة الناصرية، ابن الشيخ أحمد المتوج، الذي قال عنه السيد نعمة الله الجزائري: (تشرفت بالصلاة خلفه)، وقد ولد الشيخ إبراهيم في قرية الخاص التابعة لناحية الهوير سنة (١٩١٤م)، وتوفاه الله سنة (١٩٩٣م) عن عمر ناهز الثمانين، عُرف بمواهبه في سن مبكرة، وتلمذ على أبيه، فأتقن الفقه، واللغة، والأدب، والخطابة، وارتقى المنبر في بدايات فتوته وشبابه، ودرس مقدّمات العلوم الحوزوية على يد جدّه الشيخ درويش، ومبادئ العربية على يد عمّه الشيخ محمد أمين، وعُرف عنه ذكاؤه وقوة حافظته، حتى أنه حفظ كتاب الأجرومية في ليلة واحدة.

ومما رواه الشيخ لأسرته بعد خروجه من السجن أن أحد ضباط أمن مديرية أمن البصرة، وهو فلسطيني الجنسية، قد أعجب بثقافته، وحين سأله عن تحصيله الدراسي، وعن أي مدرسة تلقى، كان جواب الشيخ له بالنفي، فأوعز إلى مدوّن الإفادات: أن اكتب أنه تلقى علومه من أفواه الرجال...

له في منتديات النّجف وأنديّة البصرة مشاركات عديدة، ونتائج مجيدة في مدح أهل البيت عليهم السلام، وله في الإخوانيّات، والشّوقيّات، والمدائح، والمراثي والتهاني، ضاع قسم منها، وبقي الآخر مخطوطاً في خزانة العائلة الأدبيّة. كتب الشّعْر بالنمطين: الفصيح والدّارج، وعُرف بذائقته الأدبيّة المميّزة، حتّى أصبح ناقداً متدوّقاً الشّعْر بطريقة فريدة، متلمّساً أغراضه الفنيّة، مبيّناً رأيه الحصيف في توجيهه وتقويمه.

دخل السّجن مرّتين أسوة بأقرانه ورفاق الدّرب، من أمثال: الشّيخ عارف البصريّ، والشّيخ حسن فرج الله، والسّيّد نوري طعمة، والسّيّد مير محمّد، والشّيخ عبد الكريم فرج الله، والشّيخ فرج الله الشّيخ حسن، وغيرهم، والمرّة الثالثة التي دخل فيها السّجن كانت عقب انتهاء الانتفاضة الشّعبانيّة، وقد تعرّض إلى مضايقات كثيرة من قبل النظام البعثيّ بسبب خطابه المميّز؛ إذ كان خفيف المؤونة، كثير الفائدة، يراعي في خطبه (لكلّ مقام مقال)، حتّى عُرف عنه سرعة البديهة في اختيار عنوان المحاضرة وموضوعها حال صعوده المنبر.

كان له حضوره الاجتماعيّ المميّز، وهو ذو كاريزما مكّنته من ممارسة دوره الاجتماعيّ الإصلاحيّ في عموم مناطق محافظة البصرة والعمارة والناصرية وبغداد وكربلاء، وغيرها، فضلاً عن حلّ النزاعات الاجتماعيّة التي تنشأ بين أبناء القبائل.

أسهم كذلك برفقة بعض الفضلاء في حثّ المعنّيين بتوفير الخدمات من ماء وكهرباء ومستوصفات طبيّة ومدارس، وغيرها، لأبناء مدينته.

فقد الشّيخ ولدين من أولاده، الأوّل: الشّهيد عبد الحسين، والثاني: الشّيخ

عبد الخالق، لكنّه برباطة جأش احتسبها عند الله شهيدين سعيدين، ثمّ أبناء أسرته وعمومته بين طبيب وأستاذ وعالم وأديب.

تعرّض وسائر أقرانه من خطباء المنبر الحسينيّ إلى السّجن والتعذيب ومختلف وسائل القمع، حتّى سُقي السّم بعد منتصف الثمانينيّات، فمكث ملازماً الفراش، حتّى شُفي بعد سنة من العلاج، ولم تُثنه كلّ المحن والابتلاءات والفقد والمعتقات عن مواصلة السّيرة ومتابعة المسيرة، حتّى آخر أيّام وفاته سنة (١٩٩٣م)، وقد أحدث موته أثراً واضحاً بين أبناء المحافظة، وشهد تشييعه حضوراً لافتاً لم يُشهد من قبل، حتّى أدّى إلى تدخّل قوّات الأمن، وحزب البعث، وأفواج الطوارئ، لتفريق الجموع المشيعة.

ورثاه أحد أحفاده مؤرخاً وفاته بقصيدة كان آخرها:

ولهت أسرتي فمنها رجالٌ ونساءً قد غادروك بكياً

ونعتك الديارُ شجواً فأرخُ (أخليت إبراهيمها الأسيدياً)

ترجم له عدد من المؤرّخين المحدثين، منهم الشيخ الدكتور محمد صادق الكرباسيّ في دائرة المعارف الحسينيّة، معجم خطباء المنبر الحسينيّ^(٨)، والباحث نزار عبد المحسن المنصوريّ في كتابه: النصر لشيعه البصرة^(٩)، والباحث الدكتور عبد الباسط الدرويش في كتابه: معجم شعراء البصرة^(١٠).

المبحث الثالث

الشيخ إبراهيم فرج الله شاعراً

تميّز الشيخ إبراهيم بحافظة قويّة للشعر وغيره، ونظمه في مختلف ألوانه، وفنونه، فضلاً عن الخواطر الأدبية، والشعر الشعبي (العامي)، منشداً إياه في المحافل والأندية الأدبية في البصرة والنجف، وغيرهما، ونحن لا ندعي - في بحثنا هذا - أننا نقدّم تراثه الشعريّ كاملاً؛ ذلك - كما ذكرنا - في طيّات البحث لتعرض تراثه والعائلة إلى النهب من النظام البائد، لكنني استطعت أن أحصل على نماذج شعريّة في موضوعات شعريّة مختلفة من مدخّرات الأسرة التي يحتفظ بها حفيده الشيخ مالك فرج الله، وقد صنّفناها بحسب موضوعاتها إلى:

١- المديح:

نظم الشيخ في المديح قصائد كثيرة، جاء أكثرها في مديح عترة النبيّ محمد ﷺ، فقد قال في مدحه عليه السلام:

أشرفت أرض مكة وسماها وزهت بابتهاجها وسناها
واستطالت على السماء علواً وفخاراً قبأها وعلاها
وزاها الروض بالبهاء وغنت بفنون من الهوى وزقاها
وعلى الزهر بلبل البشر يشدو بأناشيد أطربت من وعائها

واستمال النفوس شوقاً فمالت
وهي في نشوة الهنا فدعاها
وحباها من الجزاء فقامت
غمر الله أرض مكة زهواً
فلمن صدق النبوة طوبى
ياذوي العقل والفضيلة بشرى
مولد كان للفضيلة أساً
وقال في مديح أمير المؤمنين عليه السلام، قائلاً:

أحسنت يا خير امري صاغ العلي
فيما نظمت من القريض وترجي
فابشر فكل من ارتضى حب الولا
وقال في الإمام علي عليه السلام أيضاً:

أبى الله إلا أن يفضّل حيدرأ
وفي محكم التنزيل نص على اسمه
فمن ذايضا هي المرتضى علم التقى
وتوراة موسى والزبور كلاهما
علي ولي الله بعد رسوله
فيا سامعي هيا معي نقتدي به
ويا حائراً في كنهه أقصر المدى
علي هو النور الذي يهتدى به
فصيره ذكراً على ألسن الورى
وللنص حكماً لا يدافع بالمرأ
وفي نعتة الإنجيل للخلق أخبرا
به أخبرا هل من بذلك ما درى؟
وليس يوالي الله من كان أنكرا
سئيبك عن نهج النبي بما جرى
هو النور من نور الجلالة صورا
ومن يعش عن ذكر له ليس مذكرا

فابليس طاووسُ السَّماءِ بزعمه
 فعن حسدٍ لما أبى في سجوده
 لأنَّ عليًّا كان من نور ربِّه
 لأهل السَّما والأرض صار خليفةً
 أخوا العلم لا تجهل عليًّا وفضله
 ودع عنك ذاك الشكِّ والزم عقيدةً
 وإياك أن ترتابَ فيه ولا تدع
 إذا شئتَ أسبابَ النجاة فواله
 وإن شئتَ أن تحيا حياةً كريمةً
 وإن شئتَ أن تهدي السَّبيلَ فمت به
 إلى أن يقول:

إليك أبا السَّبطين يُهدى احتفالنا
 فخادمكم في الحشر يرجو شفاعتَهُ
 وله قصيدة في مدح الإمام الحسين عليه السلام، يقول فيها:

يا ثالثَ الشَّهرِ من شعبانِ جئتَ لنا
 بسيدٍ فيه عرشُ الله مزدهرٌ
 هو الحسينُ شفيحُ المذنبينِ ومن
 أحبه لم تنلْ جسمًا له النَّارُ

وفي مديح الحسين عليه السلام، يقول كذلك:

أيها القائلون في الحفلِ بُشرى
 هذه اللَّيلةُ السَّعيدةُ فيها
 لكم من مقالةٍ حسناء
 وُلد السَّببُ سيِّدُ الشَّهداءِ

لو ترونَ السَّاءَ قَدْ طَبَّقْتَهَا ومضَّةٌ من جبينه بالسَّناءِ
لو ترونَ الجنانَ قَدْ زَيَّنُوها لموالي الحسين يا رُفقائي
ولهيب النيرانَ أُخْمَدَ فيها وغشى أهلها مَهَبٌ هواءِ
مولدٌ بين فاطمٍ وعليٍّ قد تسامى عُلىَّ على الجوزاءِ
وبحجر الحسين طفلاً تربي ونما فيه يا له من نماءِ
لحسين الفداء نفس براها خالِقُ الخلق منه كبش فداءِ
وبنفس الحسين لطفٌ تجلَّى عجتُ منه أنفُسُ الحكماءِ
فهو من نور ربِّه فيضٍ قدسٍ كان فخراً لسالف الأنبياءِ

.....

وفي مدح الإمام المهديّ عليه السلام، قال:

يا ابن طه فدتك نفسي حقاً ونفوس الورى إلى م الخفاءِ
قد صبرنا على المكاره حيناً ليس تجلى وفي العيون قذاءِ
أسدل الجهلُ ظلّه كظلامٍ مُسدِفٍ فالورى به عشواءِ
فأعثننا فليس غيرك غوثاً وأجرنا فقد علانا البلاءِ
ليس إلا بنور وجهك تجلى يا أبا العدل هذه ظلماءِ
جد عليهم بالفضل أنت جوادٌ منك لا من سواك تُروى الظماءِ

.....

٢- الرثاء:

أغلب مرثي الشيخ إبراهيم كانت في بكاء أفراد أسرته من الذين توفاهم الله،

أو أعدموا في زمن النظام البعثي، ويجد القارئ فيها اللوعة والحزن، والبكاء، وصدق المشاعر؛ إذ كانت تأتي بطريقة عفوية دون تكلف، وقصائده هنا بنات الأحداث التي مرَّ بها الشاعر في فقدته أولاده، وأبناء عمومته، وعلماء المذهب والعراق، إبان الحكم البعثي، وتظالعا إحدى قصائده التي نظمها قبيل تشييع ولده الخطيب الشَّيخ عبد الخالق عام (١٩٨٤م)، وقد خيف عليه وقتها، يقول فيها:

أيا ولدي يا قرّة العين والذي	به لحياتي روحها ورجاؤها
لماذا وقد أوهيت مني قوتي	بفاجعة كبرى يجلُّ بلاؤها
وفيم وقد أفنيت صبري مطلقاً	وقدسال من شؤبوب عيني ماؤها
وأودعتني ما قد أنوء بمفردي	نوائحك اللآئي يطول عزاؤها
وحملّنتني ما لا أطيق من البكا	فحقّ لعيني أن يفلّ وجاؤها
أيا ولدي هلاً رحمت صبابتي	وقد أخذت مني السنين ذماؤها
أيا ولدي ماذا تقول وقد غدت	ديارك بالأحزان يُشجني نداؤها
وقد سامرتني يوم كنت نديمها	وها هي باكٍ صبحها ومساؤها
ديارك والإخوانُ سيان حزنها	رجالاتها تبكي وتنعى نساؤها
بك النفس هلكتي أو أبوء بغصّتي	كأنك خافٍ عنك ما كان داؤها
لقد كنت في الحسبان أنت بقيتي	ففارقتني والنفس أعياء داؤها
فما عشتُ لا أنسى مرارة فقدكم	لك الروح ظمأى أو يجاب دعاؤها
وهل كنت أنساكم بنيّ وعُدّتي	إلى حين يأتي بالمنية فاؤها
وهل كان لي في العيش بعدك مطمعٌ	إذا قيل تختار الردى قلت هاؤها

وما خلّنتي أهوى البقا بعد أسرتي
ففاجأني موت العميد بحالة
فيا لرزايا قد دهنني عجالة
ويا لديارٍ أوحشتها صروفها
وعيني حقّ إذ تسيل دموعها
فقف نبكها يا صاح بعد فراقها

.....

وقال راثياً العلامة آية الله الشيخ محمد حسن المظفر رحمته :

حيناً أرى البشر والأحزان أحيانا
إذا تأملت دنيا ملؤها غير
فكيف بي وعظيم الخطب طوّفتني
إذ كلُّ يوم من الأيام تدهشنا
أما ترى الكون والأفلاك قاطبة
لأنّهم فقدت كيوان زينتها
فلتنعّهُ الأرض ولتبك السماء له
وليبكّه الملاء الأعلى وحقّ له

.....

وله قصيدته في رثاء أحدهم، ويظنُّ أنه ولده الشهيد، يقول فيها:

أطلتُ التفكّر في أدمعي
وساورنَ قلبي إثر المصاب
لأبي مصابٍ جرت همّعي
وتضطرم النار في أضلعي

وقد طوّق الحزن جسمي أسىً
وعدتُ على أثر النائحات
فكيف لقلبي بسلوانه
فهل أحدٌ مثله في الكمال
ويقول فيها كذلك:

أيا نورَ عيني ويا مؤنسي
لماذا تركت ربوع الدّيار
سلامٌ عليك من الواهات
إذا ما خلونا إلى مفرع
وها هي تنعك بالأذرع؟
بصوتٍ ترنّحه أدمعي

.....

٣- الغزل:

وله في الغزل أبيات لطيفة شفيفة المعنى، تنمُّ عن حسٍّ مرهف، وعاطفة تتحسّس الجمال، وتصطفي لطائف التعابير، لتتناسب وموضوع الغزل، وقد كثر هذا الفنّ عند الشعراء العلماء بصورة لافتة وجميّلة، كالشريف الرضيّ، والسيد الحبّويّ، وغيرهما، وقد علّلتها بعض النقاد بالنزعة الصوفيّة، وبأنّها رموز لجمال حبيب يتخفّى وراء أبيات الشّاعر، أو أنّها رغبة منهم في طرق هذا اللون من الشّعر، ونجد بعض المقطوعات الشعريّة في هذا الشّأن عند شاعرنا، يقول فيها:

خلعتُ وقارَ الشّيبِ من فرطِ ما عندي

وجاوزتُ بالأشواقِ حدّاً بذني دعد

هوَى النفس لا أخفيك قد مزَّق الحشى
وبتُّ أُجِيلُ الطرفَ في ناعمِ الخدِّ
فيا عاذلي دَعْ عنكَ لوميَ جانباً
فقد سلبتني اللبَّ مشوقهُ القدِّ
إذا أقبلتُ كان الغرامُ حليفتها
وإن أدبرتُ هام الفؤادِ مِنَ الوجدِ
كأنّ ثناياها إذا ابتسمتُ لنا
مِن اللؤلؤ المنظومِ في القالبِ الهندي
تكاد إذا ما لامستُ جسمَ مدنفٍ
تُعاودهُ بالرُّوحِ مِن رقةِ الجلدِ

.....

ويقول في أخرى:

رأيتُ فتاةً في الطريقِ كأنّها
من التّيه والإعجابِ تمشي بلا فكرِ
تُحرِّكُ جناحها إذا ما نظرتها
لتكشف عن صدرٍ مكلَّل بالدرِّ
وتبسم عن ثغرٍ كأنّ جداره
لألىء قد أفرغَن من صدف البحرِ
وترفع عن صدغي أفاعٍ كأنّها
شرائطُ من تبرٍ تموجُ على النحرِ

وَمِنْ سَعَةِ الْعَيْنِينَ حِينَ تَدِيرُهَا
يَشُدُّ كَبِيرُ الْفَهْمِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
فَهَلْ كَانَ صَبْرِي يَصْرِفُ النَّفْسَ عَنْ هَوَى
فَأَحْيَا سَعِيداً أَمْ أَعُودُ بِبِلَا صَبْرٍ

.....

٤- العتاب:

وكتب معاتباً الشيخ محمد جواد فرج الله، وكان الأخير قد بعث برسالة من النجف يخص فيها أسماء من الأسرة من دون ذكره فيها:

لَعَمْرِي مَنْ كَانَ الْغَرِيُّ مَقْرَهُ وفيما يرى أن المحيط به العلم
وَمَنْ يَكُنُ الْإِيمَانَ قَدَمًا لَهُ أَبًا ومنشؤه الأخلاق وهي له أم
وَمَنْ يَكُنُ الْإِحْسَانَ فَرَشَ مَنَامَهُ ومطلعه الإسلام وهو به نجم
إِذَا طَلَبَ الْإِخْوَانَ مِنْهُ نَوَالَهُ أجاب وإن منهم بلبته كلم
لِمَاذَا عَلَيْنَا بِالسَّلَامِ بِخَلْتُمْ ونحن لكم في كل أوقاتكم سلم

.....

٥- التهانّي:

ونجد في هذا الفن كذلك قصيدة يهنئ فيها السادة آل السيد سلطان بزواج ولدهم، يقول فيها:

أَدْرِ الْكَأْسَ وَاسْقِنِي يَا سَاقِ فلقد هزني لسلمي اشتياقي
ذات وجهٍ لو في السّما جعلوه كان للبدْرِ نورُه بوفاقِ

فعلى البعد لو ترى مقلتيها مثل نجمين في ذرى الآفاق
إلى أن يقول:

سادة المجد يفخر المجد فيكم (بمضيف) لآل سلطان باق
وبكم بالفخار يبلغ كعباً فالحمى من رقي هاشم راق
من ذرى هاشم وعبد منافٍ والذي كان للحجيج السّاقِي

٦- أغراض أخرى:

وهناك نماذج شعريّة أخرى في أغراض مختلفة، نجده على سبيل التمثيل
نظم في أثناء مرضه الذي ألمّ به بعد أن سقي السمّ إبان الحملة على خطباء المنبر
الحسيني، فتورّمت قدماه، وأصبح مقعداً يقول فيها:

ربّ إنّي أدعوك دعوة عبدٍ خاضعٍ خاشعٍ من الإشفاق
مسني الضرّ والبلاغمّ روحي وسوى الله ما لها من راق
فاستجب يا كريم منّي دعائي فلقد كدّرت حياتي ساقِي
ليس لي غير أن أبثك شكواي وأدعو بدمعي الرّراق
قد سئمت الحياة لا ولدٌ عندي فيُدعى سوى النّساء الرّراق
خذُ بسقمي إليك أخذاً كريمٍ فلك المتهى بعين البواقِي

.....

ونجده في مقطوعة طريفة المناسبة والموضوع، يخاطب فيها امرأة تعمل في
دائرة الأمن أيام معتقله اسمها (سناء)، يحثّها على ارتداء الحجاب، فما كان منها
إلا احتجبت به بعد ثلاثة أيام، يقول فيها:

حصّني الوجه عفةً يا سناء
واسدلي فوق جسمك الغضّ ثوبا
وتحلي بالمكرمات ليبقى
وارتدي حلة العفاف حجاباً
فالزمي الاحتشام فهو أمان
فلقد حصن النساء إله الـ
زينب الطهر رغم تلك الرزايا
كم دعت في الطّفوف وهي مثال
لك بالمحصنات أسوة خير
إنما قيمة النساء الحياة
من عفافٍ ليعترِك البهائم
مشرق العهد وجهك الوضاء
تتملى على هُداك النساء
ودعي الابتذال فهو بلاء
عرش بالصون، فالحجاب نقاء
تشهد الأرض صونها والسماء
فلها في مدى الحياة بقاء
وبفخر المخدرات اقتداء

الخاتمة

- لم تسبق دراستنا هذه أي دراسة أخرى تناولت حياة الشيخ الشخصية أو الأدبية، ما خلا بعض الترجمات الموجزة في بعض الكتب، ما جعل أغلب مادتنا التاريخية، أو جمع نصوصه الشعرية، قد اعتمد على النقل الشفاهي من حفدة الشيخ وأبناء أسرته، كالشيخ مالك فرج الله، والدكتور سعد فرج الله.
- ينتمي الشاعر الشيخ إبراهيم فرج الله إلى جيل الشعراء العراقيين في النصف الثاني من القرن العشرين، وهي المدة التي شهدت فيها الساحة الشعرية العراقية بروز شعراء كبار.
- ينتمي الشاعر إلى أسرة علمية انمازت بتقديم شخصيات علمائية، وتربوية، وأدبية وذوي مواقف وطنية وتاريخية.
- كان للسّمَت الديني أثر واضح في شعره، سواء في الموضوعات الدينية والإرشادية التي استحوذت على القسم الأعظم من شعره، أم في غيرها.
- شكّلت مدائح أهل بيت النبي ﷺ القسم الأعظم ممّا بقي من شعره.
- كانت النبرة الخطابية جلية بارزة في تراكيبه وموسيقاه، ما يدلّ على أنّ وظيفة الخطابة الحسينية متشربة في وجدانه وروحه **جوهرة**.
- تميّز شعره الرثائي بالبكائية، واللوعة، وصدق الإحساس؛ بسبب معاناته

الحقيقيّة التي عايشها هو وأمثاله في حقبة الإجرام الصّدّاميّ البعثيّ، فضلاً عن فقدانه بعض أولاده وأبناء عمومته وأصدقائه من الخطباء ورجال العلم، الذين أُعدّموا، أو شرّدوا في تلك الحقبة.

- بدا شاعراً جميلاً شفيف العبارة، رقيق الألفاظ في شعره الوجدانيّ والغزليّ.
- يرى الباحث ضرورة تسليط الأضواء على الشخصيات الدنيّة، والأديبة من أمثال الشّيخ إبراهيم وأقرانه الذين ضاع أكثر تراثهم الشخصيّ والشّعريّ إبان النظام القمعيّ السّابق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على رسوله وآله الطاهرين.

الهوامش

- ١- مقابلة شخصية مع حفيد الشاعر (الشيخ مالك فرج الله)، بتاريخ: ٢١/٨/٢٠١٧ م.
- ٢- يُنظر: المدينة (جزائر البصرة) في العهد العثماني (١٥٤٦-١٧١٨ م)، حسام طعمة ناصر وزميله: ص ١٥، وما بعدها.
- ٣- زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر: ص ٣٧، وما بعدها.
- ٤- يُنظر: مختصر تأريخ إمارة ربيعة، الشريف شريف الجزائري، كتاب مخطوط: بلا.
- ٥- يُنظر: المدينة (جزائر البصرة) في العهد العثماني: ص ١٣٩، وما بعدها.
- ٦- يُنظر: الأنوار النعمانية: ٤/٢١٠، وما بعدها.
- ٧- مقابلة شخصية مع حفيد الشاعر (الشيخ مالك فرج الله)، بتاريخ: ٢١/٨/٢٠١٧ م.
- ٨- يُنظر: معجم خطباء المنبر الحسيني، الجزء الأول (دائرة المعارف الحسينية): ١/٢٦٤.
- ٩- يُنظر: النصر لشعبة البصرة، نزار المنصوري: ص ٣٠٢، وما بعدها.
- ١٠- يُنظر: معجم شعراء البصرة: ص ١٥.

المصادر والمراجع

- ١- الأنوار النعمانية، السيّد نعمة الله الجزائريّ، ط١، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ٢- زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر، فتح الله الكعبيّ، ط٢، الدار العربيّة للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٣- مختصر تأريخ إمارة ربيعة، الشّريف شريف الجزائريّ، كتاب مخطوط.
- ٤- المدينة (جزائر البصرة) في العهد العثمانيّ (١٥٤٦-١٧١٨م) دراسة في الأحوال السّياسيّة والاجتماعيّة، حسام طعمة ناصر ومشتاق عيدان اعبيد، مراجعة وتدقيق وضبط: مركز تراث البصرة، ط١، منشورات العتبة العبّاسيّة المقدّسة، ٢٠١٥م.
- ٥- معجم خطباء المنبر الحسينيّ (دائرة المعارف الحسينيّة)، الشّيخ الدكتور محمّد صادق الكرباسيّ، المركز الحسينيّ للدراسات، لندن، ١٩٩٩م.
- ٦- معجم شعراء البصرة، أ.د. عبد الباسط خليل الدرويش، ط١، دار الرّافدين، بيروت، ٢٠١٧م.
- ٧- النصر لشيعّة البصرة، نزار عبد المحسن المنصوريّ، مطبعة القلم، قم، إيران ١٤٢٣هـ.